The Main Fantastic Characters in Basim al-Qatrani's Narrative Discourse

Researcher: Khaldoon Waleed Abdul-Ridha
University of Basrah / College of Education / Al-Qurnah
E-mail: pgs.kaldoon.waleed@uobasrah.edu.iq

Prof. Dr. Mohammed Jawad Habeeb al-Badrani
University of Basrah / College of Education / Al-Qurnah
E-mail: Muhammad .jawed @uobasrah.edu.iq

Abstract:

The character is a central element in narrative works, particularly novels, as it constitutes one of the most essential narrative components forming the body of the novel. Texts cannot dispense with characters, for the main character is the vital component of narrative that breathes life and movement into the story. It is an inseparable part of the other narrative elements, all of which work together to construct the text.

Basim al-Qatrani's narrative discourse is considered one of the important contributions to Iraqi narrative writing, as he has taken a distinctive approach, employing the fantastic as a writing technique to convey what cannot be expressed through a narrative rooted solely in the realm of the natural and familiar. Among his novels imbued with a fantastic quality is *Midnight Museum*, which tells the story of the teacher "Saber Fayyad," whose characters from his own novel *Majnoon x Junoon* rebel against him. In this work, al-Qatrani grants paper characters a human dimension, rendering them as beings the size of a fist.

Similarly, in his novel *Ten O'Clock Washington Time*, laden with fantastic events, al-Qatrani portrays the crisis of modern humanity through the main character "Barnaw

the Cat," who can transform from a thirty-year-old man into a black cat. Al-Qatrani employs the symbol of the black cat, which carries multiple layers of interpretation.

Keywords: Narrative, Novel Character, the Fantastic, Basim al-Qatrani

الشخصيات العجائبية الرئيسة في خطاب باسم القطراني السردي(*)

الباحث. خلدون وليد عبد الرضا **أ.د. محمد جواد حبيب البدراني**

جامعة البصرة / كلية التربية/ القرنة

E-mail: pgs.kaldoon.waleed@uobasrah.edu.iq E-mail: muhammd.jawad@uobasrah.edu.iq

الملخص:

تُعد الشخصية عنصرًا مركزيًّا في الأعمال السردية خاصة الروائية منها، إذ تعد أهم العناصر السردية التي تُكوِّن المتن الروائي، فلا يمكن للنصوص الاستغناء عنها فالشخصية الرئيسة هي المُكوِّن الحيوي من مكونات السرد التي تبعث روح الحركة ، وهي جزءٌ لا يتجزَّأ ولا ينفصل عن بقية أجزاء المكونات السردية التي تتضافر كلها لتشكِّل لنا بناء النص .

ويُعد خطاب باسم القطراني السردي واحدًا من الخطابات المهمة في السرد العراقي إذ استطاع فيه أن ينحو منحًى مغايرًا في الكتابة السردية ، مُستعينًا بالعجائبي أسلوبًا للكتابة لتمرير ما لا يمكن تمريره من خلال الكتابة المعتمدة على عالم المألوف الطبيعي ، ومن رواياته التي تحمل في طياتها طابعًا عجائبيًّا رواية(متحف منتصف الليل) التي تروي حياة المعلم« صابر فياض » الذي تمرَّدت عليه شخصيات روايته(مجنون x جنون) والقطراني في هذه الرواية منح الشخصيات الورقية طابعًا إنسانيًّا وجعلها كائناتٍ بحجم قبضة اليد . وكذلك في رواية(العاشِرة بتوقيت واشنطن) التي كانت مشحونةً بالأحداث العجائبيِّة ، من خلالها استطاع القطراني أن يُعبِّر عن أزمة الإنسان المعاصر من خلال الشخصية الرئيسة « القط برناو» الذي يستطيع التحوُّل من شاب في الثلاثين من عمره إلى قطٍ أسود اللون ، وقد وظَّف القطراني دلالة القط الأسود التي تحمل أكثر من تأويل.

الكلمات المفتاحية: السرد، الشخصية الروائية، العجائبية، باسم القطراني .

* بحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة : **العجائبية في خطاب باسم القطراني السردي** .

المقدمة :-

تعد الشخصية من أهم عناصر العمل السردي و أبرزها إذ لا يمكن لأحداث أي عملٍ سرديٍّ أن تتطور و تتمازج وتمضي باتجاه العقدة من دون وجود شخصياتٍ تُسيّر تلك الأحداث وتطورها ، لذلك اكتسبت الشخصية صفة العنصر الأبرز والأهم في البناء السردي فهي المحور الذي تدور حوله وتنطلق منه بقية العناصر السردية. وتُعد الشخصية العجائبية من الشخصيات القلقة في السرد لأنها تقوم بأحداثٍ وأفعالٍ غير طبيعيةٍ عِبْرَ تحولاتها والتغيرات المفارقة للمألوف التي تجري عليها وهذه التغيرات لا يمكن أن تقوم بها إلا تلك الشخصيات العجائبية. يتسم سرد باسم القطراني– وبخاصةٍ في أعماله الروائية –

باستخدام العجائبية استخدامًا واضحًا إذ إن جُلَّ السرد قائمٌ على أحداثٍ عجائبيةٍ وشخصياتٍ عجائبيةٍ تنأى عن الواقع وتقوم بأفعالٍ مخالفةٍ للمألوف وخارجةٍ عن الطبيعة البشرية وهذا ما سيحاول البحث الوقوف عنده .

المبحث الأول: في مفهوم الشخصية وأنواعها :

الشخصية العنصر الذي يقوم بالحدث ، يُؤثر فيه، ويتأثر به، وهي أهم عنصرٍ من عناصر العمل القصصي، لأنها تدور حولها حوادث الفن القصصي، التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالعقدة والحدث والفضاء . وللشخصية دلالاتٌ مختلفةٌ تبعًا لزاوية النظر ، فهي في علم النفس((تكامل الصفات الجسدية والخُلقية المميزة لفردٍ ما، بما في ذلك بناؤه الجسدي وسلوكه واهتماماته ومواقفه وقدراته و كفاءاته ، أو بمعنًى آخر كلّيّة الشخص كما يراها الآخرون))[١]. أما في الأدب ، فقد تباينت المعايير في تحديد الشخصية القصصية ، فهي((أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذي تدور حولهم أحداث القصة.))[٢]وهي لدى الواقعيين حقيقةٌ من لحمٍ ودمٍ ، كثيرة الشبه بالواقع ، أو هي انعكاس للشخصية في الواقع، أما نقاد الرواية البنيويون المحدثون، فقد جعلوها((شخصيةً من ورق))[٣].

أو أنها ((كائنٌ أدبيٌّ))[٤]. أوهي ((نتاج عملٍ تأليفي))[٥] لا يعدو أن يكون تشكُّلًا نصيًّا لا وجود له خارج اللغة((فما من شخصيةٍ في الرواية هي شخصيةٌ حقيقيةٌ))[٦]. كما يذهب إلى ذلك روبوت شولز ، إذ ليست الشخصيات في الرواية هي نفسها في الحياة الواقعية ، فهي في الأعمال القصصية شخصياتٌ مُخلَّقةٌ ، منتقاةٌ ومصفَّاةٌ بعنايةٍ عِبْرَ ذهن الراوي، وقد استغرق التحضير لها زمنًا، وغالبًا ما يكون فيها شيءٌ من ذاته، فحتى الأشخاص الذين ينتقيهم القاص من واقعه الاجتماعي، ما إن يدخلوا عالم القصة حتى ينفصلوا عن ذواتهم الحقيقية، وتتحقق لهم ذواتٌ جديدةٌ يرسمها النص الروائي.

أنواع الشخصيات:

ميَّز فورستر بين نوعين من الشخصيات في الرواية، هما((الشخصية المسطَّحة والشخصية المدوَّرة))[٧]. وقد عرَّفَ الشخصية المسطحة بأنها((شخصيةٌ نمطيةٌ ذات بُعدٍ واحدٍ، وتدور في أدق أشكالها على فكرةٍ أو صفةٍ ، إذ عادةً ما يتذكرها القارئ بسهولةٍ بعد قراءة الرواية ، فهي تبقى كما هي في ذاكرته، والسبب أن الظروف لم تغيرها ....))[٨].

أما الشخصية المدوَّرة ((فهي الشخصية القادرة على إثارة دهشتنا بطريقةٍ مُقنعةٍ، وعادةً ما تُشكِّل إنتاجًا عظيمًا في الفن الروائي)) [٩].

هناك نوعٌ ثالثٌ قد يدخل في النوع الثاني وقد ينفصل عنه يُسمى بالشخصية النموذجية ، وهي الشخصية التي تُمثِّل خطاً أو اتجاهًا فكريًا أو اجتماعيًا أو عاطفيًا مُعيَّنًا.

هناك من يُقسِّم الشخصية على نوعين :

١- الشخصية الفردية ((وهي الشخصية التي تحتل صفاتٍ خاصةً وليست عامةً، إذ تتميز الشخصية الفردية في الرواية بخصوصية الفرد من ملامح وفعلٍ ووعيٍ، دون تميُّزٍ ليدل على حالةٍ خارج كيان الشخصية نفسها ، أي إن الشخصية الفردية لا يمكن أن ترقى إلى مستوى الرمز ، فهي تُمثِّل شخصًا في خصائصه وسماته الشكلية والنفسية وسلوكه النمطي في حياته الخاصة والعامة، والشخصية الفردية هي الشخصية التي تنصاع لمنازعها وحدها دون أن تجعل منها صفةً سائدة))[١٠]

٢- الشخصية النموذجية :

((أما الشخصية النموذجية في الرواية ، فهي الشخصية الفردية ذات السمات التي تنطوي على الشمولية والعمومية ، فالشخصية النموذجية قادرةٌ على رفع العنصر الشخصي الذي يتحكم في مصيرها بوعيٍ إلى مستوًى مُعيَّنٍ ملموسٍ للعمومية ، وهي الشخصية المعبّرة عما هو قيِّمٌ اجتماعيًا ضمن ظروفٍ اجتماعيةٍ تاريخيةٍ مُحدَّدةٍ .....ويُقاس عمقه(النموذج) ونموذجيته بمعنى ارتباطه بالحياة ، لأن النموذج يعكس جوهر الطبيعة القومية لشعبٍ من الشعوب، ولهذا فالشخصية النموذجية في الأدب تتواصل دون أن ينال منها الزمن))[١١].

هناك من قسَّم الشخصيات بحسب تطوُّر الأحداث ونموها على قسمين :وهما رئيسة وثانوية ، وسنتناول في المبحث الثاني من بحثنا هذا توظيف الشخصيات الرئيسة في خطاب القطراني وأثرها في تنمية الحدث وتطوره .

الشخصية العجائبية:

الشخصية العجائبية :- ((هي الشخصية التي تقوم بفعلٍ فوق الطبيعي للحظةٍ واحدةٍ ومن ثُمّ تعود لطبيعتها التي تكون إنسانيةٍ أو حيوانيةٍ أو ربما نباتيةٍ في بعض الأحيان))[١٢]. الشخصية العجائبية هي القطب الذي منه ينطلق الحدث فوق الطبيعي وعليه يقع ، أي أنها المكونات الأساس في تحديد الفانتاستيك .[١٣]

وكذلك تُعرف الشخصية العجائبية بأنها:((كل الشخصيات التي تؤدي دورًا في مجرى الحكي، والمفارقة لما هو موجود في التجربة))[١٤]. إذن الشخصية العجائبية هي التي تحدد بعد حدثٍ أو أحداثٍ فوق الطبيعية، أي أنها تحول إلى شخصيةٍ ثانيةٍ تختلف عن الشخصية الأولى التي تعود إلى طبيعتها عند انتهاء ردة الفعل التي تحدث للقارئ.[١٥]

إن ما يُحقق تنوُّع الشخصية العجائبية((هو التحول و الامتساخ والتعارض في تحقق سريتها وعجائبيتها من خلال ما تعيشه من تحولاتٍ وانتساخات))[١٦].

تُعد الشخصية العجائبية العنصر الأساس الذي يستند عليه العجائبي ، إذا تم إعادة تشكيلها بصورة الخروج عن المألوف إلى عالمٍ غير مألوف .

كذلك تُعرَّف الشخصية العجائبية:((هي مساحةٌ مشتركةٌ يجتمع فيها الواقع واللا واقع))[١٧] فإن طغى اللاواقعي عليها، تُعد تقنيةً استخدمتها الرواية للتعبير عن أزمة الإنسان المعاصر.

المبحث الثاني: عجائبية الشخصيات الرئيسة :

إن الشخصية الرئيسة هي محور الأحداث وغالبًا ما يُطلق عليها ذلك((للتعريف بالفاعل وتفريده بصفةٍ جليَّةٍ من قائمة الشخصيات الأخرى التي لها وظائف مختلفةٌ باعتبار الدور الذي تلعبه بالنسبة للفاعل الرئيسي)).[١٨]

ومالها من دورٍ في السرد ((فالشخصية الرئيسة هي التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام ، وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسة بطل العمل دائمًا، ولكنها هي الشخصية المحورية ، وقد يكون هناك منافسٌ أو خصمٌ لهذه الشخصية)).[١٩] أي هناك حضورٌ لهذه الشخصية في العمل الروائي بنسبةٍ كبيرةٍ ، ولها دورٌ في سير مجرى أحداث العمل الروائي.

توصف الشخصية الرئيسة بأنها رئيسةٌ من خلال الوظائف المُسندة إليها ، إذ أُسند لها ((وظائف وأدوار لا تسند إلى الشخصيات الأخرى ، وغالبًا ما تكون الأدوار مثمنةً (منفصلةً) داخل ثقافة المجتمع))[٢٠]. يمكن أن تُطلق على الشخصية الرئيسة اسم ((الشخصية البؤرية ؛ لأن بؤرة الإدراك يستجد فيها ، فتنقل المعلومات السردية من خلال وجهة نظرها الخاصة ، وهذه المعلومات على نوعين :- نوعٌ يتعلق ..

بالشخصية نفسها بوصفها مبارًا ، أي موضوع تبئير ، ونوعٌ يتعلق بسائر مكونات المعالم المصور، التي تقع تحت طائلة إدراكها)).[٢١]

إن الشخصية الرئيسة هي محور الرواية الأساسية التي يقوم عليها العمل السردي ، كما أنها تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام وتُسهم في إعطاء الحركة داخل النص الروائي لأن مدار الأحداث يقع حولها ، وقد تكون الشخصية الرئيسة شخصياتٍ مُتعدِّدةً في السرد الواحد .وسنقف عند أهم الشخصيات الرئيسة :

سميرة هارون في رواية (متحف منتصف الليل)

في السرد العجائبي يمتزج الواقعي بالخارق لينتج خلطةً عجائبيةً تستند إلى جذورٍ واقعيةٍ تُسهم في عالمٍ من الخيال والعجائبي في جوٍ مُفعَمٍ بالسحرية .

يشغل العجائبي مساحةً واسعةً من روايات باسم القطراني. بوصفه وسيلةً لتسليط الضوء على الواقع والتعبير مما يجري فيه.

في رواية متحف منتصف الليل يمزج الروائي بين الواقعي والعجائبي والعجيب((والفرق في ذلك واضحٌ، إذ إن الشخصيات العجائبية هي التي تقوم بفعلٍ فوق الطبيعي للحظةٍ واحدةٍ ومن ثُمَّ تعود لطبيعتها التي تكون إنسانيةً أو حيوانيةً.....))[٢٢]إذ يجنح الكاتب بخياله متجاوزًا كلّ الحدود الطبيعية ليجعلها بصيغة الميتا سرد ((قصة داخل قصة))[٢٣].

تُمثِّل سميرة هارون الشخصية الرئيسة في الرواية ، إذ تؤدي دورًا أساسًا في الرواية ، وهي قيادة الفعل العجائبي في الميدان السردي فالروائي ركَّز على جعل تلك الشخصية عجائبيةً من كل النواحي أي من خلال الظهور في مجرى الأحداث عندما نظر صابر من فتحة القفل ورأى تلك الكائنات التي تكون بحجم قبضة اليد وثُم حديثه مع تلك الكائنات وتبيَّن له أنهم أبطال الرواية الهاربون من داخل الرواية .

((اغلق الباب فلم يعد للخوف طعمٌ ولونٌ و رائحةٌ، وربما أيقن أنه سيحرمه لذةً من نوعٍ آخر لن يصادفها أحد في هذه اللحظات غيره أصبح بوسعه إن يتفحص قسمات وجوههم، عجبًا أنهم فرهاد وحردان وسميرة))[٢٤].

في هذا النص يظهر الروائي شخصية "سميرة هارون " التي دارت أحداث حياتها داخل رواية صابر، وهي أحدى أبطال الرواية الهاربة ، فالروائي يذكر أنها كائناتٌ ورقيةٌ بحجم قبصة اليد ، ولو تساءلنا لماذا رسم الروائي تلك الصورة أو سبب اختباره ذلك الشكل ؛ الأمر يعود إلى تأثُّره بالحكايات الشعبية في تلك المنطقة وهي مجنون وأيضًا تأثره بحكايات الجدَّات . وهذا الأمر يُحدث دهشةً لدى القارئ ويجعله يتخيَّل عند قراءة الرواية أنه يدخل في تلك الأحداث أو يعيش ضمنها . تأثره بحكايات الجدَّات . فأحداث رواية (متحف منتصف الليل) تدور أحداثها حول قصة معلم "صابر" في قرية « مجنون » في شمال البصرة

بعد أحداث ٢٠٠٣ إذ يحدث معه أمرٌ غريبٌ في أحدى الليالي في وقتٍ متأخرٍ يسمع أصواتًا تنبعث من مكتبته الصغيرة التي ورثها من خاله فيذهب وينظر من فتحة قفل الباب فيرى أشياء لم يرها من قبل وهي كائناتٌ على هيأة بشرٍ بحجم قبصة اليد فيتحدث معهم، فيعرف أنهم أبطال الرواية الهاربون ، وسميرة هي أحد أبطال رواية (مجنون X بجنون) وفي تلك الأثناء بتحول القص وبشكلٍ مفاجئٍ وعجيبٍ يقلب أحداث الرواية من الواقع إلى اللاواقعي (الفانتازيا) في لحظةٍ خاطفةٍ تتشابك القصتان على نحوٍ عجائبيٍّ وتتداخل أحداث الرواية وشخصياتها حتى يصعب الفرز بينهما ومعرفة حقيقة وجودهم فينصدم صابر بظهور شخصيات روايته على عتبة باب مكتبته ((فتح الباب وعاين سكون الأشياء من حوله بدت الغرفة موحشةً والغبار غطَّى محتوياتها من حوله . قبل أن يترك الغرفة تذكر أمرًا هامًا، كيف نسي ذلك ؟ مخطوطة روايته التي أنجزها بعد عام ٢٠٠٣ ....

بخيبة تصفحها فكانت هي الأخرى نهبًا لقسوة التمرد في الليلة الماضية ، فراغات قائلة خَلَفها هروب شُخصياتها الرئيسة الثلاث ، فرهاد محمد خان، حردان زاجي وسمرة هارون))[٢٥].

هذا التحوُّل وربطه بالقصة الثانية يُحدث جلبةً في السرد ، وتحوُّله من الواقعي إلى العجائبي . مما يخلق مساحةً من التردد والدهشة عند المتلقي ؛ كونه كسر الحدود بين القصتين .الروائي في شُخصية سميرة هارون أظهر تلك الشخصية العجائبية. فمن المعروف أن الشخصية العجائبية تنطلق من الواقع إلى اللاواقعي وهو ما منح هذه الشخصية قيمةً عجائبيةً في صياغة أحداثٍ تعمل على خلخلة المكونات وخرق الجانب المألوف الطبيعي في حدودٍ مُعيَّنةٍ .فتبدأ سميرة بمحاكمة "صابر" وتتحدث عن ((المجرمة التي تخطف الأطفال وتسلمهم إلى عشيقها فرهاد))[٢٦].

يبدأ الروائي بسرد أحداث قصة سميرة هارون التي قامت بمحاكمة صابر، لأنه جعلها في روايته على علاقةٍ مع حردان الذي كان صديق والدها تلك العلاقة التي ينتج عنها طفلٌ منغوليٌّ "وعد" الذي كان نتيجة العلاقة المحرمة مع حردان .وتبقى سميرة هارون تعيش في كابوس الأحداث التي كتبها "صابر" في روايته، التي كانت السبب في محاكمته من شخصيات روايته الثلاثة: سميرة هارون، وحردان وفرهاد محمد إذ تداخلت قصص هؤلاء الثلاثة واختلطت الأحداث ممّا يشتت ذهن القارئ محدثاً دهشةً وتشويقًا لدى المتلقي.((تموج الشارع في عيني سميرة وامتد كأنه لا يفضي إلى نهايةٍ بينما هي تركض هربًا من أربعة أشباحٍ تلاحقها، وأبواب البيوت مغلقةٌ بوجهها من شدة الظلام حجبت عنها معرفة هوياتهم))[٢٧].

هذا الكابوس الذي كان يلازم سميرة هارون طَوال علاقتها مع حردان الذي هربت معه إلى البصرة ، وقد كوَّنت علاقةً مع المراسل الخاص به " كمال " الذي كان شابًا وسيمًا وجدت في نفسها تعويضًا عن الحرمان الذي كانت تعيشه مع حردان ، لكن يذكرها بهذه العلاقة الكابوس الذي كان يأتي لها كلَّ ليلةٍ،

والأشباح التي كانت تلاحقها ، وابنها "وعد" الذي كانت تحبه في بعض الأحيان وتكرهه في أحيانٍ أخرى ، لأنه يذكرها بحردان .

((رويدًا انقشعت الغمامة عن عينيها ، رأت وجوهًا مرعبةً بالطول و العرض أحدهم برأسين وآخر بثلاث عيون وأنوفًا بأشكالٍ شتى و كأنهم قدموا من كوكبٍ آخر، تلاشت الكلمات في قعر فمها المرتعش ، حين فتحت عينيها انهال عليها أحد الأشباح بضربةٍ ساحقةٍ فلقت رأسها نصفين))[٢٨]. الكاتب " صابر" جعل سميرة هارون تذوق مرارة الحياة في حياتها الورقية. وتعيش مع تلك الأحداث ابتداءً من الصفقة التي عُقدت بين حردان ووالدها وتزوجت حردان بصفقة قمارٍ خاسرةٍ ونتج عن تلك العلاقة "وعد " المنغولي وأيضًا الحدث الثاني في حياة سميرة هو علاقتهما مع "كمال " سائق حردان واستمرت تلك العلاقة إلى أن كشفته سميرة أنه مشتركٌ في عملية اختطاف "وعد" . وتستمر الأحداث مع سميرة إلى نهايتها المأساوية التي أنهت حياة ابنها بانفجارٍ عند عودتها إلى العاصمة بغداد ((وكانت بداية العطلة الربيعية حين حزمت حقائبها ذلك الصباح صوب بغداد وفي السيارة الشفروليت جلست في المقعد الخلفي مع المنغولي..... سميرة هي الأخرى أبحرت في مركب أفكارها، لا زال شبح الأيام المارقة يداهمها ، حردان ، كمال ، وعد ، علامات فارقة ، حياتها أكوام من الخطايا، تلال من التعاسات ..... في إحدى الطرقات المؤدية إلى الحي . وقاب قوسين من بيت أهلها دوي انفجار ، عبوة ناسفة لدى مرور دوريةٍ أمريكيةٍ .الشظية التي اخترقت الزجاجة الأمامية استقرت في رأس المنغولي فغفا على إثرها إغفاءته الأبدية)).[٢٩]اعتمد الروائي باسم القطراني الذي يتبع أسلوب السرد بضمير الغائب أو التبؤر بدرجة الصفر الذي لا يَدْع مكانًا مُحدَّدًا للروائي كلي العلم في سرد الرواية ويدع الرواية هي التي تروي نفسها معتمدًا على أبعادٍ عجائبيةٍ وغرائبيةٍ تشد ذهن المتلقي وتؤثر فيه فقد نجح القطراني في شد انتباه المتلقي وجعله معايشًا للحدث .

من الشخصيات الرئيسة أيضًا حردان زاجي في رواية(متحف منتصف الليل) :

هو أحد الشخصيات الرئيسة الثلاثة التي صنعها "صابر فياض" في روايته(مجنون x مجنون) التي أنجزها بعد عام ٢٠٠٣ وركنها في إحدى رفوف مكتبته التي أصبحت في ليلةٍ مشؤمةٍ بالنسبة " لصابر فياض" بمنزلة محكمةٍ وتُحاكمه شخصيات روايته الثلاث: سميرة هارون، وحردان زاجي، وفرهاد محمد خان، وتلك الشخصيات رفضت الدور الذي منحها صابر فياض إياها ، وقد منح الكاتب نفسه الحرية في التعبير عن وصف شخصية "حردان زاجي" وذلك بتغيير عناصرها الطبيعية وتحويلها من شخصيةٍ ورقيةٍ إلى شخصيةٍ حقيقيةٍ هذا الأمر يكون خارقًا لذهن المتلقي ، وهذا ما يشد الانتباه ويثير الدهشة ، زيادةً على تحقيق المتعة التي يسعى إليها النص العجائبي .

الروائي اتَّبع في رسم تلك الشخصية و رَسَمَ أبعادها من مظهرها الخارجي وعملية التحول التي حصلت في غرفة المكتبة وتحوُّل شخصية "حردان زاجي" من شخصيةٍ ورقيةٍ داخل الرواية التي كتبها "صابر فياض "إلى كائنٍ بحجم قبضة اليد وتقوم تلك المخلوقات بالحديث مع صابر فياض" وترفض تلك الأدوار التي مُنحت إياها . بالرغم عنها((قبل أن يترك الغرفة تذكر أثرًا هائلًا ، كيف نسي ذلك.....؟ مخطوطة روايتيه التي أنجزها بعد عام ٢٠٠٣ وقدر أنها في أحد الرفوف ولن يجرؤ على دفعها للطبع ، كان دائمًا يعتقد أن العمل الروائي مقامرةٌ كبيرةٌ ، ربما خلفت مخلوقاً مشوهًا ...عاد إلى المكتبة مرةً أخرى ، بحث عنها وبعد جهدٍ وجدها ، وبخيبةٍ تصفّحها فكانت هي الأخرى نصبًا لقسوة التمرد في الليلة الماضية:. فراغات قاتلة خلفها هروب شخصياتها الرئيسة الثلاث))[٣٠].

من خلال النص الحواري نلاحظ أن باسم القطراني اعتمد في ظهور شخصياته العجائبية وأحداث روايته العجائبية على أسلوب الاستباق إذ إنه مهَّد في نصٍ سابقٍ إلى اختفاء شخصيات كتاب جواهر الأدب ((امتدّت يداه المرتعشة نحو كتاب (جواهر الأدب) لأحمد الهاشمي ، قلَّب بعض أوراقه فوجدها خاليةً من معظم أحداثها وأسمائها .....))[٣١].

النص أعلاه جعله الروائي بمنزلة إنذار المتلقي بظهور أحداثٍ عجائبيةٍ هذا الأمر مما يُحدث ترددٌ ًا عند المتلقي وربط الحدث اللاحق بالحدث السابق ، وهذا الأمر أيضًا يجعل المتلقي في تشويقٍ دائمٍ لمعرفة أحداث الرواية الآتية .

الروائي عمد إلى طرح شخصيات روايته من النوع السلبي وكما قلنا سابقًا رفض تلك الشخصيات الدور الذي تقوم به فكل الأدوار سلبيةٌ ، فيخاطب "حردان زاجي " ويقول له((فعلًا أنا الأكثر خسارةً ، جعلتني أخاف حتى من ظلي ....)).[٣٢]

ثم يبدأ "حردان " بسرد الأحداث التي جعلته يخسر صديقه "فرهاد محمد خان " مسؤوله الحزبي المباشر ، وأيضًا تعرفه على "سميرة هارون" التي ربحها في لعبة قمار مع أبيها ،ومن بعد عام ٢٠٠٣ عمل حردان في منظمة اليونيسيف وهرب بعد ذلك إلى البصرة وفي الطريق تعرَّض لعملية خطف مجموعاتٍ إرهابيةٍ عمل معها وانخرط في صفوف تلك المجموعة ليكتشف فيما بعد أن قائد تلك المجموعة صديقه فرهاد محمد خان، كل هذه الأحداث التي حدثت مع حردان جعلت منه شخصيةً متقلبةً متلونةً ، إذ تنوُّع الأدوار وتلوُّنها التي يقوم بها وكل هذا التلوُّن يكون بالاتجاه السلبي .

خَلَق باسم القطراني في تلك الليلة الموحشة التي غيَّرت حياة صابر ليخلق عاصفته الخاصة ((التي أطاحت بكل أوراقه وقزمت مخلوقاته ، لأن السارد وقف في وجهه حين منح الشخصيات حرية الحركة والكلام والحياة خارج سياق النص))[٣٣].

بذلك سجَّلت الرواية حضورها من خلال تسجيلها لتجربةٍ تاريخيةٍ عميقةٍ باتكائها على الشخصية والحدث فقدَّمت سردًا جامعًا للمكان والزمان والأشياء بتعبيرٍ جماليٍّ من خلال البنية التي يرتقي مستواها مع ضمير المتكلم والولوج عِبْرَ الذاكرة ، فضلًا عن .تنوُّع تقنيات السرد بتوظيف الاسترجاع والاستباق في خلق شخصياته العجائبية.

وكذلك شخصية القط "برناو" من الشخصيات الرئيسة في رواية(العاشرة بتوقيت واشنطن)

في رواية العاشرة بتوقيت واشنطن ((تنطلق عجائبية الشخصية من كونها تصدم أفق التوقع ، ويخرج عن كل ما يمكن للذهن البشري أن يتوقعه كصورةٍ طبيعيةٍ ذات حدثٍ طبيعي))[٣٤]. عِبْرَ إلحاق الصفات الإنسانية بالقط أو ما يُسمَّى بالأنسنة، إذ يمكن عبر هذه التقنية تحويل الجمادات والحيوانات إلى كائناتٍ بشريةٍ تتكلم وتشعر فتصطدم بحدثٍ عابرٍ تضمن ظهور شخصية القط "برناو " التي أخذت تقوم فيما بعد بأخذ قيادة مجرى أحداث الرواية فالقطراني يتمتع بأسلوبٍ سرديٍّ نستطيع أن نسميه بالأسلوب السردي المتتابع إذ إنه يتدرج بسرد أحداث الرواية الهوينى الهوينى ومن ثم يصدم القارئ بالحدث العجائبي وظهور الشخصية العجائبية – أي أن الروائي يعرض بعض صفاتها الطبيعية من خلال الحوار الذي دار بين "كامل ضاحي"و "أميلدا "((ثمة ملاحظة ، إنك استطعت أن تلعب على دهشتي في ختام الفصل الأول ، فيما يخص (برناو) قطي المدلل الذي افتقدته منذ سنتين ....))[٣٥].

في هذه الرسائل التي دارت بين "كامل ضاحي "وأميلدا "وتطرق الحديث والكشف عن شخصية القط " التي أظهرها بصورةٍ طبيعيةٍ ثم يخلط الروائي بين تلك الأحداث الطبيعية إلى الأحداث غير الطبيعية . ((فالشخصية العجائبية هي الشخصية التي تلعب دورًا في مجرى الأحداث والمفارقة لما هو موجودٌ في التجربة وفي هذا النطاق فتكون عجائبيتها تكمن في تكونها الذاتي وطرق تشكيلها المخالفة لما هو مألوف))[٣٦].

إن شخصية "برناو" تؤدي دورًا رئيسًا في مجرى الحكي إذ أضاف الروائي صفاتٍ تجعلها عجائبيةً من خلال التحوُّل من قطٍ طبيعيٍّ يمتلك صفات القط الاعتيادي التي ذكرها الراوي في الرسائل التي دارت بين " كامل ضاحي" "وأميلدا " إلى شابٍ في الثلاثين من عمره وهذا الحدث الذي يُمثِّل تحوُّل تلك الشخصية الاعتيادية إلى شخصيةٍ عجائبيةٍ ((جاء النادل يسأله عن الخدمة التي بإمكانه ان يقدمها له .....

فبادر بسؤالٍ غريب

هل هناك قططٌ تعيش في هذا المكان ... ؟ ؟ ضحك النادل وقال :لا يا سيد ليس للقطط مكانٌ هنا طلب قدح ليمونٍ طبيعيٍّ سرعان ما أحضره النادل وحين أخذ منهُ رشفةً ، ربت أحدهم على كتفه ...

– «كامل ضاحي » ، صديق العمر اشتقت لك ....

تطلَّع في وجه الرجل بإمعانٍ، بدا وسيمًا في الثلاثين في عمره بلحيةٍ كثّةٍ و شَعْرٍ مُجَعَّدٍ ، وعينين زرقاوين . لم يسبق أن قابله غير أنه صديق العمر ...)).[٣٧]

في هذا النص يكشف الروائي عن صفات الشاب الذي طلب من "كامل ضاحي " مقابلتهُ عن طريق الرسائل وادعاء هذا الشخص أنه "برناو" القط المفقود قبل سنتين، الروائي جعل صفات القط الأسود اللون تتشابه مع صفات الرجل من حيث لون العينين. فكلاهما يمتلك عينين زرقاوين ، وهذه الصفة جعلها الروائي قرينةً للقارئ لكي تكون بمكانة التسويق وإثارة الرغبة في متابعة الحدث وربط الأحداث وشد ذهن القارئ والتدرج في إظهار الشخصية العجائبية « برناو » .

((أرجوك ، أنا اكره المزاح طبعي هكذا ، ولا مجال لدي لقبول

حقائق ميتا فيزيقية ....

وأنا كذلك لا أمزح أنا « برناو » وسأعطيك دليلًا على هذا اغمض عينيك

ماذا

كن متعاونًا وأغمضهما .....

اغمض «كامل» عينيه تماهيًا مع أحداث ذلك اليوم العجيب

– الآن بإمكانك أن تفتحهما ..

حين فتح عينيه كاد عقله أن يطير من رأسه ، فقد رأى «برناو » قطه الضائع ، يجلس على الكرسي))[٣٨].

في النص أعلاه ظهرت الشخصية العجائبية التي تأكد منها « كامل » إذ في بداية الأمر لم يكن يُصدِّق ادعاء الشاب الذي كان بتواصل معه وحين رأى ذلك الشاب لم يصدق الأمر وكان يظنه مجرد مُزاحٍ ثقيلٍ، عملية التحوُّل التي حدثت عند إغماض « كامل » عينيه تحوَّل الشاب إلى قط ، وعند إغماض عينيه مرةً أخرى يحدث العكس فتتم العودة إلى شكل الأنسان. ومن ثم تنكشف الحقائق لدى «كامل ضاحي» إذ إن الروائي قام بإضافة صفاتٍ خاصةٍ تجعل تلك الشخصية نموذجًا عجائبيًّا رائعًا .

الروائي جعل شخصية «برناو » تُحقِّق التنوُّع عن طريق التحول و الامتساخ ((فالشخوص العجائبية يتم تركيبها بشكلٍ دقيق التصور الباطني لها من حيث نفسيتها وتفكيرها ، وما يعمل من حزنٍ يكون موسومًا بالتحولات))[٣٩].

استطاع باسم القطراني أن يُوظِّف تلك الشخصية – برناو – بأن تكون شخصيةً رئيسةً تجعل القارئُ يخيَّل إليه أنه داخل أحداث الرواية، فالروائي يتمتع بأسلوبٍ سرديٍّ يجعل من القارئ يعيش تلك الأحداث وأنه يتوغل مع أحداث الرواية . والروائي استخدم في سرد أحداث الرواية ((الوظيفة التأجيلية" فقد ينساب السرد بأحداثٍ تتطور كأنها اشتغالٌ دائمٌ لكن يتوقف السرد فجأةً فاسحًا المجال للوصف الذي يوقف

كل حركةٍ زمنيةٍ خصوصًا حين يتعلق الأمر بإعطاء تفسيرٍ ما يتأرجح بين التفسير العقلي والتفسير فوق الطبيعي))[٤٠].

إن الشخصية العجائبية الرئيسة قدَّمت دورًا فاعلًا في إيصال أفكار باسم القطراني وإثارة مشاعر التلقي و حثِّه على التأويل وهذا ما يجعل رواياته تعتمد الميتاسرد والعجائبية وسيلةً لإيصال الأفكار.

الخاتمة :-

إن تتبع الشخصيات العجائبية في سرد باسم القطراني وأفعال تلك الشخصيات وتقلباتها يشير بوضوحٍ إلى قدرة السارد على توظيف العجائبي في سرده لشد المتلقي والتعبير المرمز عن الأحداث الواقعية بصورةٍ غير واقعيةٍ ولعل ذلك يعود إلى غاياتٍ سياسيةٍ أو اجتماعيةٍ فقد سعى إلى جعل تلك الشخصيات العجائبية متحولةٍ لأطوارٍ إنسانيةٍ تارةً وحيوانيةٍ أخرى لينقل عِبْرَها الواقع المأساوي لبلدٍ انهكته الحروب عبثية الصرعات والتفرد السلطوي .

لقد نجح السرد العجائبي في التعبير عما لم يكن بالإمكان التعبير عنه مباشرةً واستطاع الارتقاء بالوظيفة التوصيلية إلى غاية التأثير في المتلقي عبر خرق المألوف والصعود بالأحداث نحو ذروتها عِبْرَ تلك الشخصيات العجائبية التي ما انفكت تُعبِّر عن واقعٍ مفرقٍ بالغرابة واللا معقول .

الهوامش:

١- معجم علم النفس:د. فاخر عاقل، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧١، مادة شخصية.

٢- معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب :مجدي وهبة وكأمل المهندس ،بيروت،١٩٧٩،ص١١٧.

٣- التحليل البنيوي للسرد:رولان بارت، ترجمة حسن بحراوي وبشير القمري وعبد الحميد العقاد، مجلة آفاق ،اتحاد الكتاب العرب العدد ٨-٩ /١٩٨٨،ص٢١.

٤- قضايا الرواية الجديدة: جان ريكاردو ترجمة صباح الجهيم ، لاوزارة الثقافة ، لادمشق ١٩٧٧،ص٢٨.

٥- مستويات دراسة النص الروائي: عبد العالي بوطيب دمشق ١٩٩٩، ص٤٩.

٦- عناصر القصة:روبرت شولز ، ترجمة محمود منقذ الهاشمي ، دمشق (د-ت) ص٣٣.

٧- العجائبية في المنجز العربي للروائيين الكرد العراقيين: د. مها فاروق ، الباحثة : ميسون نوري ، كلية التربية ابن الرشد للعلوم الإنسانية ،جامعة بغداد، مجلة الآداب،٢٠١٩، ص٤٩.

٨- أركان القصة :أ.م. فوستر، ترجمة كمال عباد جاد ، دار الكرنك ، القاهرة ،١٩٦٠، ص٨٣.

٩- المصدر نفسه:ص٨٥.

١٠- البناء الفني لرواية الحرب في العراق : عبدالله إبراهيم ،دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٨،ص١١٤.

١١- نفسه ، ص١١٥.

١٢- تمثلات العجيب في السيرة الشعبية العربية : صفاء ذياب ، دار صفحات سورية ٢٠١٥،ص٢٠٤ .

١٣- المصدر نفسه : ص٢٠٥ .

١٤- المصدر نفسه : ص ٢٠٤- ص٢٠٥ .

١٥- أشكال حضور الشخصية العجائبية في رواية الطاهر وطار : ربيعة براخيلة ، ليلى جودي ، جامعة الجزائر ، المجلد ٩ ، العدد ٤ - ٢٠٢٠ ، ص ١٨٥- ص١٨٧ .

١٦- شعرية الرواية الفانتا ستيكية: شعيب حليفي ، ص١٩٧.

١٧- المصدر نفسه:ص١١٣.

١٨- مدخل إلى نظرية القصة تحليلًا وتطبيقًا :سميرة المرزوقي وجميل شاكر ، الدار التونسية للنشر ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، ص٦٣.

١٩- جماليات السردي في الخطاب الروائي :صبيحة عودة ،دار مجدلاوي ،عمان ٢٠٠٦،ص١٣١،ص١٣٢.

٢٠- تحليل تقنيات ومفاهيم :محمد بوعزة ، منشورات الاختلاف ،الجزائر ٢٠١٠،ص٥٣.

٢١- معجم السرديات : محمد القاضي ،الرابطة الدولية للناشرين الفلسطينيين ، ص٢٧١.

٢٢- تمثلات العجيب في السيرة الشعبية العربية :صفاء ذياب ،ص٢٠٤.

٢٣- منهج الميتاسرد في الرواية الخليجية «حب في السعودية» لإبراهيم بادي أنموذجًا : الرشيد بوشعير، دار صفصافة للنشر والتوزيع ٢٠١٧،ص١١.

٢٤- متحف منتصف الليل :باسم القطراني ، دار كيوان للنشر والتوزيع ،بغداد،ص١٦،ص١٧.

٢٥- متحف منتصف الليل :باسم القطراني ، ص١٤.

٢٦- المصدر نفسه :ص٢٠.

٢٧- المصدر نفسه :ص٣٠.

٢٨- متحف منتصف الليل :ص٣١.

٢٩- المصدر نفسه :ص٨٥-ص٨٦.

٣٠- متحف منتصف الليل : ص١٤.

٣١- المصدر نفسه :ص١٤.

٣٢- المصدر نفسه : ص١٣.

٣٣- المصدر نفسه : ص١٨.

٣٣- باسم القطراني في متحف منتصف الليل فوضى الخارج واضطراب الداخل : محمد جبره ،مقال في مجلة الزمان ٢٠١٦.

٣٤- استراتجية المكان :مصطفى الضبع ،الهيئة العامة للكتاب ،القاهرة٢٠١٨،ص١٢٣.

٣٥- العاشرة بتوقيت واشنطن :باسم القطراني ،بغداد ،منشورات اتحاد الأدباء ٢٠٢٢،ص١٥.

٣٦- تمثلات العجيب في السيرة الشعبية العربية :ص٢٠٨.

٣٧- العاشرة بتوقيت واشنطن :ص٢٤.

٣٨- المصدر نفسه :ص٢٥-ص٢٦.

٣٩- شعرية الرواية الفانتاستيكية : شعب حلفي ،ص١٧٤.

٤٠- المصدر نفسه : ص١٥٤.

قائمة المصادر:

أ- المصادر والمراجع:

١- أركان القصة : أ. م . فوستر ، ترجمة كمال عباد جاد ، دار الكرنك ، القاهرة ١٩٦٠ .

٢- استراتجية المكان :مصطفى الضبع ،الهيئة العامة للكتاب ،القاهرة ٢٠١٨ .

٣- البناء الفني لرواية الحرب في العراق : عبدالله إبراهيم ،دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٨.

٤- تحليل تقنيات ومفاهيم :محمد بوعزة ، منشورات الاختلاف ،الجزائر ٢٠١٠.

٥- تمثلات العجيب في السيرة الشعبية العربية :صفاء ذياب ،صفحات سورية ،دمشق ،ط١ ،٢٠١٥.

٦- تمثلات العجيب في السيرة الشعبية العربية: صفاء ذياب ،دار صفحات ،سورية ، ط١، ٢٠١٥.

٧- جماليات السردي في الخطاب الروائي :صبيحة عودة ،دار مجدلاوي ،عمان ٢٠٠٦.

٨- شعرية الرواية الفانتا ستيكية : شعيب حليفي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٧.

٩- العاشرة بتوقيت واشنطن :باسم القطراني ،بغداد ،منشورات اتحاد الأدباء ٢٠٢٢.

١٠- عناصر القصة :روبرت شولز ، ترجمة محمود منقذ الهاشمي ، دار طلاس للدراسات والنشر ، دمشق ،ط١، ١٩٨٨.

١١- قضايا الرواية الجديدة: جان ريكاردو ترجمة صباح الجهيم ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٧.

١٢- متحف منتصف الليل :باسم القطراني ، دار كيوان للنشر والتوزيع ،بغداد ،٢٠١١.

١٣- مدخل إلى نظرية القصة تحليلًا وتطبيقًا :سميرة المرزوقي وجميل شاكر ، الدار التونسية للنشر ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر.

١٤- مستويات دراسة النص الروائي: عبد العالي بوطيب دمشق ١٩٩٩.

١٥- معجم السرديات : محمد القاضي ،الرابطة الدولية للناشرين الفلسطينيين ، ط١ ، ٢٠١٠.

١٦- معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب :مجدي وهبة وكأمل المهندس، بيروت،١٩٧٩.

١٧- معجم علم النفس:د. فاخر عاقل، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧١.

١٨- منهج الميتاسرد في الرواية الخليجية «حب في السعودية» لإبراهيم بادي أنموذجًا : الرشيد بوشعير، دار صفصافة للنشر والتوزيع ٢٠١٧.

ب- المجلات والدوريات :

١٩- أشكال حضور الشخصيات العجائبية في رواية " الحوت والقصر"لطاهر وطّار :ربيعة براخلية ، ليلى جودي، جامعة الجزائر، مجلد ٦، العدد ٤ ،٢٠٢٠.

٢٠- باسم القطراني في متحف منتصف الليل فوضى الخارج واضطراب الداخل : محمد جبره ،مقال في مجلة الزمان ٢٠١٦.

٢١- التحليل البنيوي للسرد:رولان بارت، ترجمة حسن بحراوي وبشير القمري وعبد الحميد العقاد ،مجلة آفاق ،اتحاد الكتاب العرب العدد ٨-٩ /١٩٨٨.

٢٢- العجائبية في المنجز العربي للروائيين الكرد العراقيين: د. مها فاروق ، الباحثة : ميسون نوري ،كلية التربية ابن الرشد للعلوم الإنسانية ،جامعة بغداد، مجلة الآداب ،٢٠.